



من لم يلاحظ تغير المعادلة الدولية بخصوص الأوضاع في سوريا فهو إما أعمى أو واهم. لقد كان (سقوط) بابا عمرو تكريساً لواقع جديد في التعامل مع الثورة السورية، فقد كان قصف هذا الحي مع كل ما رافقه من مجازر ووقف دول العالم بحالة من الشلل أمام أقسى المشاهد المرعبة دليلاً على وجود ضوء أحضر من أقوى دولة في العالم وهي أمريكا بتنفيذ ما حصل في حي بابا عمرو.

لقد صمتت أفواه المتشددين بعبارات مثل (لن نسمح بحماية أخرى) و(يجب وضع حد للمجازر) و(يجب على المجتمع الدولي عدم السكوت)، ولم نسمع في الأفق سوى طلقات الرصاص ودوبي المدفعيات، وفي الحي المكلوم لم نسمع سوى أنات الثكالي وأهات المجرورين.

لقد تمت الصفقة الكبرى بين أكبر مافيات العالم وهي أمريكا وإسرائيل وروسيا وإيران، أما تفاصيل الصفقة فلن تعرف الآن، وسيمر وقت ليس بطويل حتى نرى تداعياتها على الأرض. أما وقف أمريكا بدايةً مع الثورة السورية فكان وقوفاً معنوياً لا غير، وذلك كي لا تخرج أمريكا نفسها عن الخط الداعم للتغيير في حمى الثورات العربية. ولكن التغيير الذي كانت تطمح إليه أمريكا هو تغيير الأسلوب في طريقة تعاطي النظام السوري مع الحراك الشعبي، ولذلك كانت الدعوات الأمريكية في البداية تنادي على الأسد ليقود الإصلاحات، أما مطالبات التتحي فقد جاءت تحت وقع انتشار الثورة السورية وتقديمها للتضحيات الهائلة من شهداء ومعتقلين فاضطررت حينها الإدارة الأمريكية أن تصدر بيانات خجولة بضرورة رحيل النظام السوري والحكومة السورية والانتقال الديمقراطي للسلطة دون توجيه (أمرأ) مباشرأ برحيل بشار الأسد عن السلطة كما حدث مع مبارك مصر وبن علي تونس وقذافي ليبيا وصالح اليمن.

لقد صدر لكل هؤلاء تحذيراً مباشراً من أوباما نفسه بضرورة الرحيل (الآن). بينما لا تفت الإدارة الأمريكية تكرر عبارات مثل (سيرحل النظام السوري عاجلاً أم آجلاً)، و(الأسد سيرحل في النهاية). إن عدم مخاطبة الأسد بلهجة حازمة من قبل أمريكا صارت أقرب ما يكون لترغيب وليس لترهيب النظام السوري من ارتكاب المزيد من المجازر بحق معارضيه. وصارت التهديدات الأمريكية عصا للتلويع دون الضرب! وكلنا يذكر تعقيب الأسد على مطالبة الإدارة الأمريكية له بالتحي بوصفها

(ليس لها معنى)! فهل وصلت قوة النظام السوري لهذه الدرجة من التحدي؟! لا والله بل لأن الأسد صار يتصرف كطفل صغير عاصي يهدده أب (حنون) بالضرب وحرمانه من المتصروف ثم ما يلبث أن يحتضنه بين ذراعيه.

أما سبب الانتقال الأمريكي من الدعم الخفي للنظام السوري إلى الدعم الواضح والجلي: فهو انحياز الإدارة الأمريكية إلى حلف روسيا - إيران مع الموقف الإسرائيلي الداعم لبقاء النظام السوري. ونرى ذلك الانحياز متجلياً في مبادرة مبعوث الأمم المتحدة التي هي عبارة عن ورقة اتفاق روسي-أمريكي تم التوقيع عليها تحت مظلة الأمم المتحدة لتكريس المقاربة الروسية للأزمة في سوريا. وقد اعتبرتها أمريكا ورقة النجاة من فضيحة (الحس كلمتها) أمام المجتمع الدولي. وفي موافقة أمريكا على هذه المبادرة مالت كفة الميزان الدولي لصالح الروس الذين استطاعوا تمرير رؤيتهم لما يحدث في سوريا في مبادرة نسفت كل ما أجمعـت عليه معظم الدول الكبرى من ضرورة رحيل الأسد وعدم مساواة المجرم بالضحية.

لقد اكتملت عناصر المؤامرة بطريقة درامية، فإسرائيل وإيران - وهما القطبان المتنافران مذهبياً - حلفاء في دعم النظام السوري، وروسيا وأمريكا - وهما القطبان المتنافران أيديولوجياً - حلفاء في دعمه أيضاً.

روسيا تقدم التطمئنات لإسرائيل بأن الأسد في حال عدم سقوطه سيكون (أكثر إخلاصاً) لإسرائيل من أي وقت مضى! وروسيا تقدم التطمئنات لأمريكا بأن إيران لن تطور سلاحاً نووياً يهدد إسرائيل، وأمريكا تقدم التطمئنات لروسيا بأن لن تسمح للربع (الإسلامي) أن يدق أبواب الكرملين، وأمريكا تقدم التطمئنات للنظام السوري بأنه لن يلاحق أمام المحاكم الدولية مهما فعل! الذئاب تطمئن بعضها والفريسة تستجير... فهل سيكون لحم الفريسة مرأً؟ ستعرفون الجواب من ثوار سوريا في قادم الأيام.

المصادر: